تقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : لما خرج رسول الله ﷺ وأبوبكر رضي الله عنه ، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي خبيثا !؟!

فكان رد أسماء ردّ المسلمة القوية العزيزة ، لا جواب الجبان الخائف المتمسكن في وجه الكفر والطغيان ، قالت موجهة الجواب إلى أبي جهل : لاأدري والله يا أبي !؟! فكان جواب أبي جهل جواب من لا جواب عنده ، جواب من أحرج بعودة الشتيمة إليه ، فقد رفع يده ، ولطم خد أسماء لطمة طرح منها قرطها[1] .

ولنتصوّر حال قريش ، وخطورة الموقف ، يكفي القول إن مدينة بأسرها هي مكة ، أخذت تطارد وتبحث وتقاوم رجلاً واحداً هو المصطفى ﷺ ، وقد أجمعت على قتله والخلاص منه بأية وسيلة كانت .

فاقتفوا أثر الرسول الكريم ، وأخذوا معهم خبراء مختصين في فن القيافة ، في تتبع الأثر على الرمال ، حتى بلغوا الجبل ، ووصلوا باب غار ثور .

وصلوا باب الغار ، والنبي وصاحبه فيه ، النبي مطمئن برعاية الله ، يحوطه بعنايته ، وأن قريشاً لن تنال منه منالاً مهما دبّرت وكادت ، ومهما استعانت بما لها من الخبرة والقوة والمكانة ، فلما وصل فتيان قريش إلى الغار ، وسمع أبو بكر دبيب أقدامهم إزاءه ، اشتد خوفه على حياة الرسول الأعظم ، حتى بكى ، وقال :

---

(١) ابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٩٥ ، عيون الاثر ، ج : ٢ ، ص : ١٨٨ ، السيرة الحلبية ، ج : ١ ، ص : ٣٧٢ ، وتقول اسماء ايضا : لما خرج رسول الله ﷺ وخرج ابي معه ، احتمل أبي ماله كله ، خمسة آلاف درهم او ستة الاف ، فدخل علينا جدي ابو قحافة وقد ذهب بصره ، فقال : والله إني لاراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قالت اسماء : كلا يا ابت ! إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا ، قالت : فاخذت أحجارا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان ابي يضع ماله فيه ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم اخذت بيده ، فقلت : يا ابت ، ضع يدك على هذا المال ، فوضع يده عليه ، فقال : لا باس اذا كان ترك لكم هذا فقد احسن ، وفي هذا بلاغ لكم . ولا والله ماترك لنا شيئا ، ولكني اردت ان اسكن الشيخ بذلك .
« راجع : البداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ١٧٩ » .